

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم.-
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (آمين)
﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَفُوقًا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الحشر: ١٤-١٦)

تبدو هذه الآيات سهلة الفهم في بادئ الأمر ولا يظهر أنها تحتوي على حقائق دقيقة ومعارف عميقة بحيث لو تأمل فيها الإنسان لتوصل إلى معارف ودقائق أخرى أيضا. ومن ميزات كل آية قرآنية أنها مهما بدت سهلة الفهم في بادئ الرأي، ولكن لو خاض فيها الإنسان لافتتح أمامه عالم واسع من المطالب والمعارف. تبدو آيات القرآن أحيانا سطحية المعاني مثل سطح المياه الغائرة الأعماق. فالناظر العادي لا يدرك العالم الواسع للمعاني

علماءهم.. وقفة تأملية

خطبة جمعة ألقاها حضرة أمير المؤمنين ميرزا طاهر أحمد نصره الله الخليفة الرابع للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

في ٢٢ آذار/مارس ١٩٨٥م في مسجد "الفضل" بلندن

(القسط الأول)

الخطبة التاسعة من سلسلة الخطب التي ألقاها سيدنا ميرزا طاهر أحمد، الخليفة الرابع للإمام المهدي عليه السلام رداً على تهمة باطلة ألصقتها بجماعته حكومة الدكتاتور الجنرال ضياء الحق في باكستان في "البيان الأبيض" المزعوم الذي نشرته بعنوان: "القاديانية، خطر رهيب على الإسلام".

ولقد ردّ الخطيب في كلمته هذه على التهمة القائلة بأن الأمة المسلمة تعرضت للثشت والفرقة وفتحت عليها أبواب الفساد على مصراعيها بسبب ظهور الجماعة الإسلامية الأحمدية. وقد بين الخطيب الخدمات الإسلامية والقومية التي قامت بها الأحمدية، ثم قام تحليلاً مفصلاً لأسباب أدت إلى الفرقة والثشت بين الأمة، مبيناً أن المسؤولين الحقيقيين عن انحطاط الأمة هم العلماء السوء وحدهم. لقد تشرف بترجمة هذه الخطبة الأستاذ عبد المجيد عامر وراجعها الأستاذ عبد الله أسعد عودة.

يعرفون أنه لن يُسَمَّحَ لكم بالرد، وحيث يعرفون أنهم حائزون هناك على غلبة ظاهرية ومرتاحون تحت ظلِّ حكومات متحيزة. ولكن لا يجروون على مبارزتكم حيث الحرية، بل يفرون منكم فرار الحمير من الأسد. فما أعظَمَه من برهان بينه القرآن الكريم وما أروعَه من كلام منطقي! إذ قال إن أسلوب مجادلتهم سوف يبين لكم أنهم جنباء. فإن مصادرة كتب الأحمديَّة من ناحية، وشنُّ الهجوم عليها من ناحية ثانية، وعدم السماح للأحمديَّة بالمناقشة من ناحية أخرى كلها أمور تعكس الأمر الآف الذكر وهو: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾. أي أنهم يشنون هجومًا من وراء جدر متمثلة في الحكومات الدنيوية، وعادتهم هذه لا تخفى على أهل البصيرة.

هناك قوى كبيرة وكثيرة معادية للإسلام تتسابق بعضها بعضاً في عداوته، والإسلام مهتدٌّ بأنواع من الأخطار من قبلها. ولكن معارضي الأحمديَّة لا يملكون إزاء هذه القوى إلا نسج المكائد الخيالية جالسين في قُراهم المحصَّنة المزعومة، ولا يجروون على مقاومة هذه القوى المعادية للإسلام، أو تحديها، أو الهجوم المضاد عليها. إذن فمن ذا الذي يوفِّق لكل هذا؟ سوف أتناول ذكره بعد قليل.

رد فعل سلمي

ثم يقول الله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾. هنا يبيِّن الله تعالى فلسفة

” فخوفهم ناجم عن البرهان والحجة اللذين جاء بهما الإسلام. هذا الخوف مثل خوف الظلمة من النور. الليل يخاف بصيص الصباح لأنه يعرف جيداً أنه سوف يقضي عليه. فأعداء الحق أيضاً يصابون بهذا الخوف الذي يبدو جلياً من هجمات يشنونها ضده. والاضطهادات التي تصب على الأحمديَّة تعكس الأمر نفسه.“

متجرِّداً عن تقوى الله. هذا الأسلوب من المجادلة يدل على أن العدو قد تجرد من خشية الله نهائياً، إذ لو خشى الله لما استخدم - مقابل الصدق - الأساليب البذيئة بما فيها الكذب والخديعة. فإنهم يرهبون قوة تبدو لهم متصاعدة بجد ذاتها. ولو لا هذا الخوف وهذه الرهبة لما شنَّ العدو الهجمات ضد رسول الله ﷺ وأصحابه.

هجوم جبان

فخوفهم ناجم عن البرهان والحجة اللذين جاء بهما الإسلام. هذا الخوف مثل خوف الظلمة من النور. الليل يخاف بصيص الصباح لأنه يعرف جيداً أنه سوف يقضي عليه. فأعداء الحق أيضاً يصابون بهذا الخوف الذي يبدو جلياً من هجمات يشنونها ضده. والاضطهادات التي تُصب على الأحمديَّة تعكس الأمر نفسه.

ويلاحظ في الاضطهاد المذكور أمر آخر أيضاً وهو مذکور في الآية: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾. أي أنهم يشنون عليكم هجمات من قرى ومدن محصنة أي من مواقع وبلاد حيث

الكامنة وراء كل آية من الآيات القرآنية. فالآية الأولى منها تحتوي على بعض الادعاءات الغربية ظاهرياً مثل قوله تعالى للرسول ﷺ وأصحابه: إنهم يرهبونكم رهبة شديدة. ويبدو هذا الادعاء غريباً في بادئ الأمر لأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا مستضعفين وكانوا يُعتبرون عديمي الحيلة لدرجة أن كل من هبَّ ودبَّ كان يجروء على إهانتهم، حتى إن السوق الأذلة رشقوا رسول الله ﷺ وأصحابه بالحجارة وأطالوا لسان الطعن فيهم وأخرجوهم من ديارهم وبيوتهم. ولم يكتفوا بذلك بل لم يمتنعوا عن شن الهجوم عليهم في منفاهم أيضاً. وعلى الرغم من ذلك كله يقول الله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ﴾!!

السؤال المطروح هنا هو: ما هي تلك الرهبة؟ الحق أنهم يرهبون انتصار الإسلام، ولكن لا يرهبون الانتصار الظاهري والمادي للمسلمين. وإنما يرهبون قوة تبرز بالحجة، وتحيا بالبرهان وتنتصر بالبرهان أيضاً. إذن فيرهب الأعداء دائماً قوة الصدق، ويرهبون لدرجة لا يخافون الله مقابلها. فالذين يتمسكون بالحق والصدق يتناسى العدو حجتهم ويهاجمهم

عميقة جدًا، وهي أنهم بسبب عدائهم لكم أصبحوا "جميعًا"، أي جمعًا موحدًا في الظاهر وإلا فلا توجد بينهم أواصر الحب والود حقيقةً. لقد تمكن منهم خوفكم وعداوتكم لدرجة أنستهم عداوتهم الداخلية. ولكن الحقيقة أن هذا لا يمثل آثار الحياة. إن آثار الحياة هي أن توجد بين القوم قوة الحب الحقيقي القادرة على جمع شملهم.

وقد أدوا هذا المفهوم القرآني بتعبير آخر هو: "الكفر ملة واحدة". أي الوحدة التي تلاحظونها في ملة الكفر إنما هي بسبب قوة الإنكار، بمعنى أنهم قد تحدوا على أن يرفضوا أحدًا، ولم يتحقق هذا الاتحاد لسبب إيجابي أبدا، ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾. أي لا يعرفون أن مثل هذا الاتحاد أو الاجتماع لا يعين شيئا.

إذ من المعروف أن الاتحاد الذي يتم عند ظهور مصالح مشتركة كأن يجتمع الناس خوفاً من عدو أو من خطر آخر فلا أهمية لمثل هذا الاجتماع، لأن الحيوانات أيضاً تتحد في مثل هذه المواقف، إذ تتحد الذئاب والأسود والشيء في حالة الاضطرار.

هناك رسماً رسم هذا المشهد بأسلوب رائع جدا. فقد رسم مشهد العاصفة العاتية والظوفان العارم، ولكي يزيد المشهد هيبه، رسم في وسط المشهد، بالإضافة إلى الرعود والبرق، زوبعة تحيط بالوحوش المتنوعة بما فيها الخنازير والأسود والذئاب والشيء والأفراس جالسة بعضها مع بعض. والأمر لا يقتصر

على مثل هذه الرسوم، بل إن القبور التي تم العثور عليها مؤخرًا والتي يعود تاريخها إلى آلاف السنين، تترأى من خلالها المشاهد نفسها. ففي بعض الأحيان محال الدمار الشامل المخيف كل آثار الحياة في بعض المناطق، وفي مثل هذه المواقف حاولت الحيوانات المتنوعة والمعادية بعضها لبعض الفرار من الكارثة، واجتمعت في مكان واحد حتى هلكت ودفنت في قبور جماعية وكأنها جالسة بعضها مع بعض حبًا وتوددًا. ولكن هذا النوع من الحب المؤقت لا يهب الحياة، لأنه يكون ناجمًا عن خوف معين وعن قوة سلبية. ولكن أولي البصيرة هم أولئك الذين يجتمعون على مبادئ إيجابية. تتحد قلوبهم نتيجة للحب ويتراءى فيهم مشهد: ﴿رحماء بينهم﴾.

ثم يقول الله تعالى: ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ أي أن هؤلاء أيضا سيواجهون عقابا مثل عاقبة الذين كانوا قبلهم ولن يحظوا بالنجاة. ﴿ولهم عذاب أليم﴾ لأنهم يحاولون التصدي لقدرة الله تعالى، لذا لا يستطيعون أن ينجوا من العذاب الأليم.

مثال صارخ للدجل والتبليس

الحق أن الظروف التي تمر بها الأحمدية حاليًا، والمشهد الذي رسمه هذه الظروف إنما هي بمثابة تفسير لهذه الآيات، إذ تتعرض الأحمدية لهجمات اللسان والقلم، ويُعدَّب أبناؤها تعذيبًا جسديًا، ويزج بهم في السجون، ويُستشهد الأعيان

منهم دون هوادة.

إن البيان الأبيض المزعوم أيضا يقدم جانبًا سلبيا، والتهم التي أُلصقت بالأحمدية في هذا الكتيب جديرة بالمطالعة. لقد استمدوا من الحركة التي قامت ضد الأحمدية عام ١٩٥٣م بعض النتائج الغريبة. ولكنهم قبل كل شيء يقدمون تحليلا عجيبا عن الأحمدية بكلمات آتية: "لقد تم تأسيس الجماعة بإعزاز من قوة استعمارية، وأصبحت القضية معقدة أكثر فأكثر بمرور الوقت، إذ لم تسبب الكراهية والفرقة بين مسلمي قارة آسيا فقط بل تعرضت لهذه الكراهية والفرقة الأمم من بلاد إسلامية أخرى أيضا ولاسيما المسلمون في أفريقيا". (الكتيب المذكور ص ١)

ثم يتناول البيان الأبيض المزعوم أحداث حركة عام ١٩٥٣م وعواقبها فيقول: "أخذت هذه القضية تنفث سموم الكراهية والطائفية في الكيان السياسي لباكستان. وفي غضون هذه الفترة بدأ القاديانيون بإرسال بعثاتهم إلى الخارج وأقاموا هناك مراكزهم التبليغية. لقد أقاموها في أفريقيا وأوروبا وفي بلاد أمريكا الجنوبية والشمالية. وبما أنهم لم يشكلوا قوة تُذكر من الناحية العددية في أي بلد، لذا فقد تم التخلص منهم بسهولة في بلاد أخرى غير أنهم كانوا يحظون في باكستان بقوة عددية ملحوظة وكانوا أقوياء وراسخي الأقدام فيها." (المرجع السابق ص ٣٨)

هذه العبارة تشكل مثلا صارخا للدجل

والتلبس ويحتاج تحليلها الكامل إلى وقت طويل. لذا أقول بالاختصار أولاً وأتساءل: من هو المسؤول عن بذور الكراهية والفساد أثناء الحركة التي قامت عام ١٩٥٣م؟ لمَ لم يخطر على بال مسؤولي الحكومة الحالية مطالعة تقرير محكمة التحقيق والتحليل للإجابة على السؤال المذكور؟ إن قضاة تلك المحكمة يذكرون بالاحترام والتقدير البالغين في أوساط قضائية. القاضي "منير" لم يكن قاضياً عادياً أبداً، كذلك كان القاضي "كياني" أيضاً يحتل مكانة مرموقة في أوساط القضاء والعدل. إنني لا أجد متسعاً من الوقت لقراءة كل ما يبرهن عليه تقريرهما، ولكنه لو جُمعت بضع مقتبسات من هذا التقرير لشكلت موضوعاً ممتعاً جداً للخطبة، ولكنني سوف أقرأ على مسامعكم مقتبسا واحداً فقط لضيق الوقت وستعرفون من خلاله من المفسد، وسليط اللسان وبذيئه. وأي شخص أو جماعة نفتت السموم في المجتمع! يقول القضاة:

"هناك جريدة (مزدور) تصدر في مدينة ملتان بباكستان، محررها سيد أبو ذر البخاري وهو ابن سيد عطاء الله شاه البخاري، الزعيم المعروف لفئة الأحرار، وهو يمثل زعامتهم العليا في الوقت الراهن. نشرت هذه الجريدة في عددها ١٣ حزيران ١٩٥٣م (مشيرة إلى من كان وراء الاضطرابات التي أدت إلى مفسدة ١٩٥٣) مقالا ضم رسالة باللغة العربية مليئة بكلام بذيء وسوقي للغاية عن إمام الأحمدي لدرجة لا تسمح لنا لباقتنا بنقله.

وبدلاً من أن يربوا الناس تربية دينية أو ينشروا الإسلام دين محمد ﷺ يطلب منهم أن يكذبوا الأحمديين، ويشوهوا سمعتهم، ويجرضوا الرعا على تنفيذ المجازر ضدهم ونهب بيوتهم وأكل أموالهم، وكل ذلك باسم الإسلام. هذه هي خدمة الإسلام التي تطلبها الحكومة في باكستان من علماء الظاهر.

ولو قيل هذا الكلام أمام شخص أحمدي وشُجرت الرؤوس نتيجة له لما استغربنا من ذلك أدنى استغراب". (تقرير محكمة التحقيق في مفسدة ١٩٥٣ في فنجاب ص ٨٧).

هذا رأي القضاة المسلمين الذين لديهم خبرة طويلة في مجال القضاء، ورأيهم ليس ك رأي شخص عادي. فقد لخص القضاة أسباب الاضطرابات كلها في بضع جمل وميزوا المفسدين عن الصابرين على الأذى. ويضيف القضاة في هذا الصدد ويقولون:

"الكلمات المستخدمة في الرسالة بذيئة للغاية وتعكس ذوقاً سوqياً جداً. قد أهينت من خلالها اللغة المقدسة التي هي لغة القرآن الكريم ولغة الرسول ﷺ إهانة شديدة". (المرجع السابق ص ٨٧-٨٨)

أقول: إذا كنتم لا تتذكرون أحداث ١٩٥٣م، أو لا تطبقون قراءة قرارات محكمة التحقيق، فلم لا تنتبهون إلى ما يحدث في باكستان اليوم؟ واقع الأمر أنه تُجلب الملايين من أموال الزكاة لتخريب طائفة معينة من علماء الظاهر الذين ليس لهم هم إلا سباب الأحمديين. وبدلاً من أن يربوا الناس تربية دينية أو ينشروا الإسلام دين محمد ﷺ يُطلب منهم أن

يكذبوا الأحمديين، ويشوهوا سمعتهم، ويجرضوا الرعا على تنفيذ المجازر ضدهم ونهب بيوتهم وأكل أموالهم، وكل ذلك باسم الإسلام. هذه هي خدمة الإسلام التي تطلبها الحكومة في باكستان من علماء الظاهر. ومع كل ذلك تتم المحاولات لإقناع العالم الخارجي أن الأحمديين هم الذين يزرعون بذور الكراهية في المجتمع، وكأن البلد كله أصبح عرضة للاضطهاد من قبل الأحمديين، وكأن العلماء المعارضين المساكين يصرون على ذلك ولا يحركون ساكناً ضد الأحمديين، ولكن إلى ما يصرون؟ هكذا يريد المعارضون إثبات براءتهم. ولكن العالم لا يجهل الحقيقة. وبحوزتنا أشرطة تحتوي على خطابات هؤلاء المشائخ حيث استخدموا لغة بذيئة للغاية، وحرصوا الدهماء على الظلم والاضطهاد. اللغة السوقية التي كانت ولا تزال تُستخدم ضد الأحمديين في باكستان قد خرجت الآن من حدود البلد. لأن مشائخهم المرتزقين يذهبون إلى الخارج ويستخدمون هنالك اللغة نفسها التي يستخدمونها ضدنا في باكستان. ماذا يجري في جزر موريشوس وفي النرويج على سبيل المثال؟ عندنا



أشرطة مسجلة عن أعمالهم، ومع ذلك يحسبون أن الدنيا تجهل كل هذه الأمور، وسوف تقتنع بقولهم بأن الأحمديين هم المفسدون، وغيرهم لا يزالون يصبرون ولا يقومون بأي نشاط ضدهم.

أسباب انحطاط المسلمين

الصورة التي تُرسم ضد الأحمديّة في باكستان لها ثلاثة جوانب، أحدها يتعلق باضطرابات عام ١٩٥٣م. حيث يريدون أن يوهمو العالم أن المسلمين قبل بعثة سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ كانوا متحدين قلبًا وقالبًا دون أن تجد الفرقة أو سيئة أخرى طريقها إليهم، وكانوا يشكلون قوة عظيمة بحيث ارتعدت لها القوى الاستعمارية كلها. فقامت هذه القوى بزرع الأحمديّة لنشر الفساد بين المسلمين وتفريق شملهم حتى يزول الخطر المحدق بها من قبل الإسلام. ولكن الحقيقة على عكس ذلك تمامًا، إذ إن الكتب التي يروجونها قد جرى خلالها الحقُّ على قلم مؤلفيها. فهناك كتاب بعنوان: "القاديانية" للسيد أبي الحسن الندوي، وهو من ضمن الكتب التي تنشرها وزارة الأوقاف في باكستان على نطاق واسع. لقد نشرت الحكومة هذا الكتاب في أنحاء العالم وتولت ترجمته إلى الإنجليزية والعربية. وهذا الكتاب يعارض المشهد الذي ترسمه الحكومة في البيان الأبيض المزعوم بأن المسلمين قبل بعثة الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ كانوا مسلمين متحابين فيما بينهم، فأقام الإنجليز

هذه الجماعة لزرع الفرقة فيهم، حيث يصف المؤلف المشهد قبل بعثة سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ بالكلمات التالية:

"ومن ناحية ثانية قد اتسع الخرق بين الفرق الإسلامية، وتحمست كل فرقة في الرد على غيرها. وكثرت المناظرات والمجادلات الدينية أدت في بعض الأحيان إلى المضاربات والمقاتلات والمحاکمات. وعمت حالة الحرب الأهلية الدينية الهند كلها. وكل ذلك قد أحدث قلقًا في الأفكار وتوترا في العلاقات وكآبة في الطبايع". ثم يقول:

"استولى على المسلمين بشكل عام اليأس والقنوط والشعور بالهزيمة من الظروف السائدة. كان الناس قد يئسوا من الإصلاح وتغيير الأحوال بأساليب وطرق عادية نظرا إلى عاقبة النضال الذي جرى عام ١٨٥٧م، وإلى خيبة أمل الحركات الدينية والعسكرية المختلفة. وكانت الأغلبية الساحقة من الناس تنتظر بعثة رجل من الغيب، ملهم ومؤيد من الله تعالى". *

(قاديانيت ص ١٦ - ١٧ للسيد أبو الحسن علي الندوي، الناشر: مكتبة دينيات لاهور

* يجدر الانتباه إلى أن الكتاب المشار إليه كان قد أُلّف باللغة الأردية ثم تُرجم إلى العربية غير أن المترجم حذف بعض الكلمات الهامة التي تشير إلى ضرورة بعثة رجل ملهم ومؤيد من الله، لذا قمنا بترجمة النص الأصلي الأردية. (المترجم)

باكستان، الطبعة الأولى عام ١٩٥٩م) هذا هو الحق الذي جعل الله يجري على لسانهم أنفسهم. وهذا هو الدجل والتلبس الذي أشرت إليه؛ إذ يكذبون ويحاولون تعميم الحقائق من ناحية، ومن ناحية أخرى يدلون ببيانات تنم عن تلك الحقائق. هذه كانت خلفية الأوضاع السائدة آنذاك. وتوجد في هذا الخصوص بيانات كثيرة أدلى بها العلماء المسلمون حيث ذكروا كيفية انحطاط المسلمين وإدبارهم حتى يمكن أن تُدوّن من تلك البيانات كتب تقع في ألوف الصفحات، ولكنني سوف أقتبس بعضا منها على سبيل المثال.

تقول جريدة "الوكيل" في عددها ١٥/١٩٢٧م:

"لم يظهر هذا المرض للعيان اليوم، وإنما كان قد ظهر منذ فترة طويلة. لقد حذا المسلمون حذو اليهود والنصارى في الحياة الفردية أولاً، والآآن أصبحوا يحذون حذوهم في الحياة الاجتماعية أيضا، الأمر الذي أسفر عن ضياع الخلافة".

خراف ضالة

وكتبت جريدة "الجمعية" الناطقة باسم المشائخ والصادرة في دلهي، في عددها ٤/١٩٢٦م وهي تتحدث عن الظروف السائدة قبل بعثة مؤسس الأحمديّة:

"زال الستار دفعة واحدة وشاهدت الدنيا بوضوح أنه إذا كانت الأمة المسلمة تعني جمعية متحدة أو مسنحة مرتبطة، فلا وجود اليوم للأمة المسلمة بمعناها الحقيقي. إنها بمثابة

ثم يخاطب رسول الله ﷺ بلهجة يعلوها الألم الشديد ويقول:

"يا أفضل الرسل! الوقت وقت الدعاء. إن أمتك تواجه وقتاً عصيباً للغاية. الدين الذي كان قد انطلق من وطنه بعزة، قد صار اليوم خارج وطنه غريباً لا يلوي عليه أحد. والدين الذي كان مضيفاً لقيصر وكسرى، قد نزل اليوم ضيفاً عند الفقراء. الدين الذي أثار مجالس العالم بنوره، لم يعد في مجالسه اليوم سراج ولا مصباح. لقد تدهورت الحالة لدرجة لا تكاد تعود إلى طبيعتها. ويبدو من ذلك

أن هذا هو قضاء الله وقدره. نتوسل إليك يا ربنا السفينة! فإن السفينة قد أوشكت على الغرق". (المسند للحالي، الناشر: شركة سنك ميل، لاهور، باكستان ص ٣٨ و ١٠٩)

واسمعوا الآن، يا من تعاندونا، ما قاله العلامة د. إقبال الذي زينت "البيان الأبيض المزعوم" بتعليقاته. وإذا كنتم تُنزلون كلامه منزلة كلام الله، على حد قولكم، فاسمعوا ما يقوله عن المسلمين:

"أنتم النصارى هيئةً والهندوس مديّة. لقد تردت حالة المسلمين لدرجة يخجل منهم تشدقون كثيراً ضد الأحمديّة معترين بقول د. إقبال وكأنه شخص نزل عليه كلام الله، ثم تقدمونه بكل اعتزاز وتباه، فما رأيكم فيما وصفكم به لسانه؟

المودودي: الأمة المسلمة نتاج الجهل
وهاكم رأي المودودي الذي يقول:

ومنهم من اتحدوا على عداوته ظاهرياً ولكن "قلوبهم شتى".

تقول جريدة "البشير" الصادرة في "أوتاوه" في عددها سبتمبر/أيلول ١٩٢٥م:

"إن حالة التشتت والفرقة التي كانت سائدة بين اليهود حين بعثة النبي ﷺ، لو قرأتم تاريخها ثم قارنتموها بحالة علماء المسلمين في الوقت الراهن لبدأ لكم جليا أن حالة كثير من علماء الإسلام اليوم نسخة منتسخة من علماء اليهود والنصارى في ذلك الوقت".

الثناء على حالة المسلمين

أما فيما يتعلق بالشعراء فقد نظموا أبياتاً أليمة للغاية لبيان حالة المسلمين المتردية. والأسلوب الذي ذكر به حالتهم العلامة إقبال في شعره تحت عنوان: "الشكوى وجواب الشكوى" يحتاج ذكره إلى بيان طويل، ولكنني قبل ذلك سأقرأ على مسامعكم بعض الأبيات من شعر السيد "حالي" الشاعر المعروف في القارة الهندية، حيث يقول:

"لم يبق الدين والإسلام أبداً، وإنما بقي من الإسلام اسمه فقط".
ثم يشبه الشاعر الإسلام بالحديقة ويقول ما معناه:

"سترى حديقة خربة تماماً حيث يعلو الغبار في كل حذب و صوب على حد سواء. ولا تترأى فيها النضارة أبداً. سقطت فروعها الخضراء بعد أن بيست، ولن تحمل أزهارها ولا ثماراً. أصبحت أشجارها اليابسة جدرة بالحرق".

أوراق منتشرة أو حبات مسبحة متناثرة، أو بضع خراف ضالة لا قطع لها ولا راعي".

أشباه عاد و ثمود

كُتبت جريدة "زميندار" في عددها ١٨/٩/١٩٢٥م مخاطبةً مسلمي الهند بلسان رسول الله ﷺ:

"إنكم تُدعون أمتي ولكن تأتون بأعمال اليهود والوثنيين. قد اتصفتكم بصفات قوم عاد و ثمود. تعبدون بعلا ويغوث ونسرا ويعوق وتذرون رب العالمين، وأكثركم يسيئون إلي".

السؤال هو: هل كانت الأحمديّة هي السبب وراء كل هذه الأمور؟ لماذا لا يخافون الله؟ ولماذا ينسجون أكاذيب وبهتاناً لا أصل لها ولا يقبلها، ولا للحظة واحدة شخص لديه قليل من العقل؟

يخدون حذو اليهود والنصارى

لو ألقينا نظرة على هذه الخلفية وشاهدنا الحالة التي كانت عليها الأمة المسلمة قبل بعثة سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ وظلت عليها بعد مجيئه ﷺ أيضاً، لصرخ العقل عفوياً أنه لا بد أن يأتي أحد لإحيائها ولا حاجة لهلاكها أكثر من ذلك، لأن أهلها كانوا أمواتاً مسبقاً من الناحية الدينية والدينيوية. وهذا ما حدث على صعيد الواقع. فالآثار القليلة للحياة التي دبت فيهم كان سببها عائداً إلى بعثة سيدنا أحمد ﷺ، بمعنى أن منهم من أحيى بسبب قبوله سيدنا أحمد ﷺ،



"زُورُوا الأسواق، ستزورون مومسات مسلمات جالسات في بيوت الدعارة، وستجدون الزناة المسلمين متحولين. زُوروا المعتقلات فسوف تتعرفون على اللصوص المسلمين والصعاليك المسلمين والفُساق المسلمين. ارجعوا إلى المكاتب والمحاكم تجدوا كلمة "المسلم" مقرونة بالرشوة، وشهادة الزور، والخديعة، والمكر السيء، والظلم، بل بكل نوع من الرذائل. تجوّلوا في المجتمع تواجها المسلم المدمين على الخمر أحيانا، وتصادفوا المسلمين المدمين على القمار والموسيقى والتغني والتهرج أحيانا أخرى. تأمّلوا الآن لأية درجة أهنت كلمة "المسلم" وبأية صفات رُبطت؟ المسلم الزاني! المسلم شارب الخمر! المسلم المقامر! المسلم المرتشي! فإذا كان المسلمون يتصرفون بكل التصرفات التي قد يتصرف بها الكافر فمتى كانت الدنيا بحاجة إلى وجود المسلم إذن؟"

(المسلمون والعراك السياسي الحالي، ج ٣ ص ٢٨ - ٢٩ تحت عنوان: "انحطاط الحركة الإسلامية")

يجب على المعترضين على الجماعة الإسلامية الأحمديّة أن يقرّوا هذا المقتبس ويتأملوا فيه جيدا. أتساءل لماذا لم تبق فيهم خشية الله؟ نعم! إنهم يخشون ولكنهم يخشون غلبتنا فقط.

يقولون عن سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بأنه تكلم عن المسلمين بكلام قاسٍ وهاجمهم (والعياذ بالله)، ولكن الذي يسمونه بـ "العارف بشمائل

النبوة" يقول:

"لو استعرضتم هذا المجتمع المسلم المزعوم لرأيتم فيه مسلمين من أنواع مختلفة يتعذر عليكم إحصاؤها. إنها حديقة الحيوانات التي اجتمعت فيها ألوف الأنواع من الحيوانات بما فيها الغربان والحديدات والنسور والسّماني والحجل". (المرجع السابق ص ٣١)

هذه هي كلمات الشيخ المودودي إذ كتب عن حالة المسلمين التي وجدهم عليها. فهل أقام الإنجليز شخصا هلاك هذا القوم الذي كان منحطاً - حسب رأي المودودي - من قيم إنسانية لدرجة يقدم مشهد حديقة الحيوانات؟ لا يمكن لأحد أن يرفض أن ذلك الموعود قد جاء ولمّ شملهم، ونفث فيهم الروح إلى حد ما، وبعث فيهم حماسا، وإن وُجد سلبيا في المعارضين. يمضي المودودي ويقول:

"ليس في الشريعة الإلهية ما يؤدي إلى تشكيل أمم مختلفة كأمة أهل الحديث والحنفية والديوبندية والبريلوية وأهل الشيعة وأهل السنة. (وكأنه يريد أن يقول: لا بد أن تكون هناك أمة واحدة وهي الجماعة المودودية) هذه الأمم كلها نتاج الجهل". (الخطبات، الطبعة الرابعة ص ٧٤ تحت عنوان: الدين والشريعة) أما فيما يتعلق بعمامة المسلمين والأمة المسلمة فيقول المودودي:

"أما هذا السواد الأعظم الذي يُسمى بالأمة المسلمة، فإن ٩٩٩ من الألف منهم لا يعرفون الإسلام ولا يقدرّون على التمييز بين الحق والباطل. ولم يتغير

اتجاههم الأخلاقي والذهني وفقا للإسلام. إنما يتوارثون اسم الإسلام من الأب إلى الابن ومن الابن إلى الحفيد، ولذلك هم مسلمون". (المسلمون والعراك السياسي الحالي، الجزء الثالث ص ١٣٠ تحت عنوان: الصراط المستقيم للإسلام وسبيل الانحراف عنه)

هناك أقوال كثيرة من هذا القبيل، كما أسلفت، اعترفَ فيها علماء الأمة القدامى منهم والجدد بحالة المسلمين المتردية. فمن الظلم العظيم إلقاء مسؤولية هذه الحالة على الأحمديّة.

سوف أذكر لكم في هذا الصدد بعض المراجع، لا كلّها. ومن أراد أن يعرف عن حالة المسلمين في بلاد ذكرها العلماء بلدا بلدا - بما فيها الهند بأقاليمها المختلفة مثل "حيدر آباد دكن، وسي بي، ومهار اشتر"، ثم بلاد العرب مثل مصر والعراق والجزائر، ثم بورما وتركيا وجزيرة جاوه وتايلندا وروسيا - فليرجع إلى تعليقات منشورة في الجرائد عن حالة المسلمين، والجرائد هي:

زميندار ١٦/٧/١٩٢٦م، أهل الحديث ١٦/٤/١٩١٠م، و ٢٥/١/١٩٢٠م، و ١٤/١/١٩٢١م، و ٢٨/١/١٩٢١م، و ١٨/٢/١٩٢١م، مستقل ١٢/٧/١٩٢٩م، همدم ٨/٩/١٩٢٠م، و ١٧/١/١٩٢٥م، سياست ٥/١١/١٩٢٥م، ملاب ١٦/٨/١٩٢٥م، مدينة ١/٤/١٩٢٥م، انقلاب ١/٦/١٩٣٠م، طوفان ٢٧/٩/١٩٣٠م، تنظيم ٨/١١/١٩٢٥م، اتحاد ٣١/٥/١٩٣١م، همت

أخرى. ألا يمكن لـ "ندوة العلماء" و"منظمة ديوبند" و"فرنغي محل" ومراكز علمية دينية أخرى أن تشاركهم في نشر الحق والتبشير به؟ ألا يوجد في الهند من المسلمين الأثرياء الذين يستطيع كل واحد منهم - إذا أراد ذلك - أن يتحمل وحده نفقات مركز واحد للدعوة؟ بلى إنهم موجودون، ولكن الأسف كل الأسف أن العزيمة مفقودة. هدر الوقت في النزاعات السخيفة وتشويه سمعة الآخرين أصبح شعار المسلمين اليوم، رحم الله هذا القوم الضالين". (جريدة زميندار، ديسمبر/كانون الأول ١٩٢٦م) وكتبت مجلة "انقلاب" في عددها ٥/٢/١٩٣٠م:

"إن صاحب الدين التبليغي يجد في نفسه رغبة عارمة للنشر والتبشير بالأمر الذي يراه حقاً".

ثم قالت: "لا بد أن نعترف نظراً إلى حالة المسلمين الراقدة الراهنة أنهم لا يملكون ذرة من الحق وإلا فلماذا لا يجدون في أنفسهم رغبة جامحة في نشره وإشاعته في العالم؟ ومقابل ذلك، هناك الجماعة الإسلامية الأحمديّة التي لا تعارضها الأديان الأخرى فحسب، بل إن المنظمات الإسلامية أيضاً تخالفها بما مخالفته، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الجماعة القليلة العدد وحدها تعمل جاهدة ليل نهار لتلا تتمتع هي وحدها بنعمة الإسلام بل تحاول أن توصلها الدنيا بأسرها للاستمتاع بها".

(يتبع)

القرن العشرين، غير أن المركز الرسمي أنشئ هناك في ١٩٣٤م. وذلك بالإضافة إلى مراكزنا في هنغاريا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا حيث بدأت نشاطاتنا التبليغية في ١٩٣٠م. كما تأسست مراكزنا للدعوة في أسبانيا وإيطاليا وألبانيا عام ١٩٣٦م، بالإضافة إلى مراكزنا في بورما عام ١٩٣٥م.

إذن فلو ألقيتم نظرة فاحصة على الدنيا كلها لأدرتكم جيداً أن الأحمديّة كانت قد انتشرت في أنحاء العالم كله قبل ذلك بفترة طويلة جداً.

وبقي الآن أن نستعرض: ماذا كانت الأحمديّة تقوم به من نشاطات في كافة أنحاء العالم؟ لا بد أن تعتمدوا على الآراء التي سوف أتناولها لأن أصحابها ليسوا من الأحمديين ولكن الله تعالى جعل الحق يجري على لسانهم. فقالت جريدة "زميندار" *:

"نريد أن نسأل المسلمين: ما ذا يقوم به المسلمون من جهد لنشر دينهم المقدس. يسكن في الهند سبعون مليون مسلم، ولكن هل هناك مركز واحد لهم يقوم بنشاطات تبليغية في الغرب؟ إن تشويه سمعة الأحمديين جالسين في البيوت أمر غاية في السهولة، ولكن لا يسع أحداً أن ينكر أن هذه هي الجماعة الوحيدة التي أرسلت دعواتها إلى إنجلترا وبلاد أوروبية

* علماً أن هذه الجريدة كانت قد نذرت نفسها لمحاربة الأحمديّة. (المترجم)

١٩٢٩/٨/٢٤م، مشرق ٥/١٦/١٩٣٠م.

وإلى جانب ذلك هناك كتب كثيرة بما فيها كتب المودودي أيضاً حيث توجد تعليقات عديدة لا تحفى على أهل العلم والبصيرة.

غودوا إلى الصواب!

أما فيما يتعلق بما قالوا في "البيان الأبيض المزعوم" أنه عندما قامت حركة عام ١٩٥٣م، وحدثت البلبلّة في باكستان، عندها بدأ الأحمديون بالخروج إلى بلاد أخرى حتى وصلوا إلى أوروبا وأفريقيا، فهو كلام جدير بالانتباه. أقول لهم: لم لا تعودون إلى صوابكم؟ استخدموا العقل والمنطق. كانت الأحمديّة قد انتشرت في أنحاء العالم قبل تلك الفترة. حتى إنكم بأنفسكم قلتم بكل تفاخر بأننا قد نخلصنا من "فضية المائة سنة"، مما يعني أن الأحمديّة كانت موجودة قبل مائة سنة. لقد ترسخت في تلك البلاد بل انتشرت في أنحاء العالم قبل تأسيس باكستان أيضاً. ففي أمريكا على سبيل المثال تأسس مركزنا رسمياً عام ١٩٢٠م، وفي بريطانيا في ١٩١٣م، وفي عام ١٩٢٠م تم شراء قطعة أرض حيث يقع اليوم مسجد "الفضل" بلندن، وكان السيد فتح محمد سيال أول داعية أحمدي في بريطانيا. كذلك بدأت نشاطات مراكزنا في كل من غانا ونيجيريا بأفريقيا الغربية عام ١٩٢١م. أما في أفريقيا الشرقية فتأسست الأحمديّة عام ١٨٩٦م، أي قبل بداية